

من القضايا اللغوية فى القرآن الكريم

*ثناء الله بوتو

Abstract

Allah revealed the Quran in Arabic Language that is the reason of the importance of Arabic Language as compared with others. Even then the language used in the Quran is totally different from modern Arabic. Such kind of the use of language is not available in Arabic poetry, stories or even in prose. The language used in Quran has used to such an extent that there is no comparison of nay other language with it. This is the language that revelation of the Creator of this Universe. This is the reason that all men of intellect have been challenged to such a language till dooms day. All three major standard of Arabic Language i.e. Stories, poetry and prose are adopted in the Quran. All the events are described in miracles of wonders.

One of the aspects of The Quran is its linguistics and grammatical structure and in this regard all the scholars have given different opinions. In this regard verse 234 of a Sorah AL Bakar has been an analytically assessed and evaluated by different scholars.

من الحقائق الثابتة المقررة التى لا سبيل إلى الشك فيها ان القرآن الكريم كتاب عربى مبين وأن الفاضله هى الألفاظ التى كان يستعملها العرب فى نثرهم وشعرهم وإن كان يمتاز بالدقة البالغة فى اختيار اللفظ لموقعه الذى اريدله. وأن تراكيب القرآن هى تراكيبهم وأن الطرق التى سلكها فى اداء اغراضه ومعانيه هى طرقهم ولكنه يمتاز ايضاً ويتفرد بسمو التراكيب وعلو الطريقة والروعه المعجزة فى اختيار هذه وتلك، غير أن القرآن الكريم خالف نهج العرب وطريقتهم فى شىء واحد هو ذلك البناء الكلى للآيات وللصور، فهو متميز ببناء فريد لم يكن قبله ولم يأت بعد ما يماثله.

*عميد كلية الدراسات الاسلامية، بجامعة السنند، جام شورو

ومرت حقب وظهر البحث فى اعجاز القرآن الكريم وفى بيان اسرار هذا الإعجاز وفى الحديث عنه بعامه وكادت تتفق كلمة العلماء على أن القرآن الكريم جاء بأسلوب جديد غير الأساليب التى يعرفها العرب فليس هو بشعر وليس هو بخطابة ولم يجيء على طريق الحكم والوصايا والأمثال التى اثرت عنهم، ولا الرسائل، ولكن هذه الأنواع (قالب) خاص معروف لدى العرب والقالب الذى جاء عليه القرآن غير كل هذه القوالب. قال عيسى بن على الرماني: "إن القرآن جاء بأسلوب جديد" وقال: "وأما نقض العادة فان العادة كانت جارية بضروب من انواع الكلام معروفة: منها الشعر ومنها السجع، ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنشور الذى يدور بين الناس فى الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة فى الحسن تفوق كل طريقة." (١)

ومن اعجاز القرآن انه يحتوى على وجوه عديدة من ألوان الجلال والإعجاز، ومن المعلوم أن علماءنا قدعنوا عناية فائقة بتحليلية كثير من هذه الوجوه وابدعوا فيها لما يرضى ويشفى، ولكن جانباً من جوانب المهمة يتعلق بالنظر فى وجوه الإعجاز فى اعراب القرآن ولغة القرآن وتناول البلاغيين والمفسرين ما يغنى ويفيد فى هذه الناحية.

وأما بالنسبة هذه الناحية ففى القرآن الكريم آيات كثيرة أشكل اعرابها على النحويين، قالوا فيها اقوالاً كثيرة كل حسب وجهة نظره. وحسب المدرسة النحوية التى ينتمى اليها. كما ان به ايضاً تعبيرات بدت للوهلة الاولى خارجة عن قواعد البلاغيين. وذهب الشراح والمفسرون يلتمسون لها توجيهاً، وحارت فيها افكارهم.

فمن التعبيرات النحوية التى اتعبت المفسرين والمعربين جميعاً قوله تعالى: والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا. (٢)

اذ افتتحت الاية بالاسم الموصول "الذين" وهو لجماعة الذكور العقلاء و'يتوفون' صلة الموصول، والرابط بها واولجماعة، اما الخبر عن هذا المبتدأ فهو جملة 'يتربصن' والفاعل فيها هو نون النسوة، وبهذا لا نجد الخبر مطابقاً للمبتدأ. ومن هنا تفرقت كلمة المعربين واختلفت تخريجاتهم لهذا التركيب.

قال ابو البركات بن الأنبارى (٣): الذين مبتدأ، وفي الخبر أربعة اوجه: الاول: ان يكون خبره مقدرًا وتقديره: فيما يتلى عليكم الذين يتوفون منكم كقوله تعالى: والسارق والسارقة (٤) اى: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة (٥)۔

والثاني: ان يكون خبره (يتربصن بانفسهن) على تقدير: يتربصن بعدهم بانفسهن فحذف "بعدهم" للعلم به لان الجملة اذا وقعت خبرا للمبتدأ فلا بد ان يعود منها عائد اليه، ونحو هذا قوله تعالى: (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور (٦) اى: ان ذلك الصبر منه لمن عزم الامور، فحذف 'منه' للعلم به (٧)۔

والثالث: ان يكون التقدير: 'فازوا جههم يتربصن' فحذف المبتدأ، وحذف المبتدأ كثير في كلامهم، ويتربصن خبره، والجملة من المبتدأ والخبر في موضع رفع لأنه خبر "الذين" (٨) والوجه الرابع: ان يكون الخبر "يتربصن" على ان يكون التقدير: "وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن" فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار "الذين" مبتدأ و "يتربصن" خبرا عن الازواج اللاتي قام "الذين" مقامهن - (٩)

وقال محمد جرير الطبرى (١٠): فان قال قائل: فأين الخبر عن "الذين يتوفون" قيل: متروك لأنه لم يقصد قصد الخبر عنهم وانما قصد قصد الخبر عن الواجب على المعتدات من العدة في وفاة ازواجهن، فصرف الخبر عن الذين ابتدا بذكرهم من الأموات الى الخبر عن ازواجهن والواجب عليهن من العدة، اذ كان معروفا مفهوما معنى ما اريد بالكلام، هو نظير قول القائل في الكلام: بعض جبتك متخرقة في ترك الخبر عما ابتدى به لكلام الى الخبر عن بعض اسبابه وكذلك الأزواج اللواتي عليهن التربص لما كان انما الزمهن التربص باسباب ازواجهن، صرف الكلام عن خبر من ابتدى بذكره الى الخبر عن قصد قصد الخبر عنه كما قال الشاعر (١١):

لعلى ان مالت بى الريح ميلا

على ابن ابى زبان ان يتندما (١٢)

فقال: لعلى، ثم قال: ان يتندما، لأن معنى الكلام: لعلى ابن ابى زبان ان يتندم ان مالت به الريح ميلا عليه فرجع بالخبر الى الذى اراد به، وان كان قد ابتدأ بذكر غيره (١٣)۔ فمعنى هذا الشعر

اسم 'لعل' هي ياء المتكلم، والخبر هو 'يتندم' وكان الأصل: لعل ابن ابى زيان ان يتندم، ان مالت بى الريح عليه - ولكن هذا التعبير يجعل المتكلم تابعاً فى الكلام لا اصلاً، والتقدير هنا لعلى مع ابن ابى زيان، وهو على اى حال ليس منقطع الصلة عن اسم "لعل" -

وحاصل كلام الطبرى هو أن الأرامل الزمن التربص ومنع من الزواج بسبب ازواجهن المتوفين، فترك الحديث عن هؤلاء المتوفين وصرف الى الزوجات اللاتي سيقن الآية لبيان ما يجب عليهن -
اقول: وهو كلام جيد من ناحية معناه ولكن بقيت المشكلة النحوية بدون حل -

وأورد الطبرى نظيراً آخر وهو قول الشاعر:

الم تعلموا ان ابن قيس وقتله

بغير دم دار المذلة حلت (١٤)

وقال: فألغى ابن قيس وقد ابتداءً بذكره وأخبر عن قتله انه ذل (١٥)

وهذا الاستشهاد غير قوى لأنه يحتمل التأويل بالمفرد فيمكن ان تكون الواد للمعية، فيظل الحديث عن ابن قيس الذى قتل لغير جريرة - ويكون التقدير: ان ابن قيس مع قتله بغير ذنب هو ان ذلة، فما بعد الواو فضلة لا يحتاج الى اخبار عنه - ومن المألوف السائغ ان يقال: انى وما ملكت يدى ملك لك ورهن امرك - وفى القرآن ايضاً "انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم" (١٦)

ويعود الطبرى فيعرض حلاً آخر فيقول: وقد زعم بعض اهل العربية ان خبر "الذى يتوفون" متروك، وان معنى الكلام والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً، ينبغى لهن ان يتربصن بعد موتهم، وزعم انه لم يذكر موتهم كما يحذف بعض الكلام - (١٧)

وليس هذا ايضاً حلاً نحويماً، انما هو بيان للمعنى المقصود، والمعنى واضح ولكن المشكلة مشكلة تركيب وقواعد نحوية، وليس منها ان يحذف كل هذه الكلمات -

وقال النحاس (١٨): يقال: أين خبر "الذين" - ففيه اقول: قال الاخفش سعيد (١٩):

التقدير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن بعدهم او بعد موتهم، ثم حذف هذا كما يحذف شىء كثير (٢٠) - وقال الكسائى (٢١): فى التقدير يتربص ازواجهم (٢٢) كما قال

جل وعز” والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً (٢٣)۔ لا تقم فيه أبداً أى لا تقم في مسجدهم - وقال الفراء (٢٤): اذا ذكرت اسماء ثم ذكرت اسماء مضافة اليها فيها معنى الخبر وكان الاعتماد فى الخبر على الثانى اخبر عن الثانى وترك الاول (٢٥) قال ابو اسحق (٢٦) هذا خطأ لا يجوز أن يتبدأ باسم ولا يحدث عنه۔ قال ابو جعفر (٢٧) ومن احسن ما قيل فيها قول ابى العباس محمد بن يزيد (٢٨) قال التقدير: ”والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً ازواجهم يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً“، ثم حذف كما قال الشاعر:

وما الدهر الا تارتان فمنهما

اموات واخرى ابتغى العيش اكدح (١٩)

وفيهما قول رابع: يكون التقدير: ”وازواج الذين يتوفون منكم۔“ (٣٠)

وقدر الزمخشري (٣١): مضافاً محذوفاً فى اول الجملة واعتبر اصل التركيب ”وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن۔“ (٣٢) واذن فالنون فى ”يتربصن“ تعود على المبتدأ المحذوف وهو ”ازواج“ وعرض توجيهها آخر فى صيغة التمرىض وقال: وقيل (٣٣) معناها: يتربصن بعدهم كقولهم: السمن منوان بدرهم (٣٤) وفى هذا التوجيه قدر محذوفاً فى آخر الجملة لا فى اولها۔ وكلا التقديرين مقبول، فحذف المضاف مألوف، وحذف الظرف مألوف۔

ولعل اقرب هذه التحليلات وادناها الى منطق النحو ما ذكره الزجاج فى كتابه اعراب القرآن۔ ان ”ازواجاً“ تحمل ضميراً يعود على المبتدأ، والتقدير: ”ويذرون ازواجاً لهم“ واذن فالضمير فى ”يتربصن“ لا يعود على ”ازواجاً“ منفصلة عن الاسم الموصول۔ وانما هى لمعنى ”ازواجهم“ - ويذكر نظيراً لهذا من الكلام، اذا يقال مثلاً: الذى يموت وله بنتان تراثان الثلثين، فكلمة ”بنتان“ تحمل ضميراً ومعنى من المبتدأ: والألف فى ”تراثان“ هى بمعنى ”بنتاه“ وان فالخبر ليس خالياً من الرابط (٣٥)۔ هذا الذى ذكره الزجاج قريب من اللغة، ولم يقدر فيه محذوفات بعيدة او كثيرة كما فعل غيره۔ والتعبير بعد كل هذا ليس شيقاً خارجاً عن الاساليب العربية فالبحث انما هو عن تخريجه ووجهته الاعرابية۔

الهوامش

- ١- الرماني: عيسى بن علي: النكت في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ص: ١٢- ط - مكتبة البابي الحلبي بمصر.
- ٢- الآية ٢٣٤ سورة البقرة.
- ٣- هو عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله بن معصب كمال الدين ابو البركات بن الأنباري النحوي صاحب التصانيف المفيدة. منها البيان في غريب اعراب القرآن. وهو مطبوع في مجلدين. توفي سنة سبع وسبعين وخمسائة. ترجمته في: السبكي: تاج الدين: طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٢٤٨ - ط- ٢- دارالمعرفة بيروت.
- ٤- الآية ٣٨ من سورة المائدة.
- ٥- نسب هذا القول الى سيبويه- راجع: القيسي: مكى بن ابى طالب: كتاب مشكل اعراب القرآن - ١/ ٩٩- ١٠٠ تحقيق: ياسين محمد السواس - ط- دارالمأمون للتراث- دمشق- والعكبري ابوالبقاء عبد الله بن الحسين: املاء مان به الرحمن ١/ ٩٨ - ط- دارالكتاب العلميه بيروت- والقرطبي: محمد بن احمد الانصاري- الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٧٤ ط- ٤- دارالكاتب العربي للطباعة والنشر.
- ٦- الآية ٤٣ من سورة الشورى.
- ٧- هذا قول الأخفش، راجع: القيسي: مشكل اعراب القرآن ١/ ٩٩- وفي معاني القرآن للأخفش: فخبير "والذين يتوفون يتربصن بعد موتهم" ولم يذكر "بعد موتهم" كما يحذف بعض الكلام يقول: ينبغي له أن يتربصن - فلما حذف "ينبغي" وقع "يتربصن" موقعه- قال الشاعر:
على الحكم الماتى يوماً إذا قضى
قضيته أن لا يَجُورَ وَيَقْصِدُ
فرقع "ويقصِدُ" على قوله "وينبغي" - راجع: الأخفش: سعيد بن مسعدة- معاني القرآن- ١/ ٣٧١-٣٧٢- عالم الكتب ط- ١/ ٩٨٥م.
- ٨- ذكره العكبري غير معزو: املاء مامن به الرحمن ١/ ٩٨-.
- ٩- اورده القيسي غير معزو- مشكل اعراب القرآن ١/ ٩٩ وهو اختيار الزمخشري جار الله محمود بن عمر في تفسيره: الكشاف عن حقائق التنزيل ١/ ٣٧٢ ط- شركة مصطفى البابي الحلبي - ١٩٧٦م.

- ١٠ - الطبري: محمد بن جرير بن يزيد ابو جعفر المؤرخ المفسر- له اخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبري- وجامع البيان عن تاويل آي القرآن، يعرف بتفسير الطبري: في ٣٠ جزءاً (مطبوع) توفي ٣١٠ هـ راجع: الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣٥١/٢ ط- دارالفكر العربي وسير اعلام النبلاء ٢٩١/١١-٣٠١ ط دارالفكر للطباعة والنشر- ط- ١-١٩٩٦م.
- ١١ - الشاعر هو: ثابت قطنة: ثابت بن كعب بن جابر- من شجعان العرب واشرافهم في العصر المرواني- له ديوان مطبوع- توفي ٥١١٠ هـ، ترجمته في الزر كلّي خير الدين: الأعلام ٢/٩٨ ط-٦- دارالعلم للملايين ١٩٨٤م.
- ١٢ - انظر هذا الشعر في ابن الأثير عزالدين بن ابى المكرم محمد بن محمد- الكامل في التاريخ ٤/ ١٧٦ ط- دارالكتاب العربي بيروت ط-٥-١٩٨٥م- اورد ابن الأثير قصيدة ثابت قطنة ممارثي به يزيد بن المهلب، وابن ابى ذبان هو الوليد بن عبد الملك- راجع تفسيره: جامع البيان عن تاويل آي القرآن ٢/٥١١ ط- شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط-٣-١٩٦٨م.
- ١٤ - استشهد به الفراء: يحيى بن زياد في معاني القرآن ١/ ١٥٠ ط- عالم الكتب بيروت- ولم ينسبه- راجع تفسيره جامع البيان ٢/٥١١ -
- ١٦ - الآية ٩٨ من سورة الأنبياء- تفسيره - ٢/٥١١ -
- ١٨ - النحاس: ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل نحوي، لغوي، مفسر، اديب، توفي بمصر ٣٣٨ هـ- من تصانيفه الكثيرة: معاني القرآن- اعراب القرآن، تفسير القرآن، الناسخ والمنسوخ- اخبار الشعراء، ترجمته في: ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والامم ٦/ ٣٦٤ ط- دائرة المعارف الاسلاميه حيدرآباد - تغرى بردي: جمال الدين المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ٣/ ٣٠٠ ط- وزارة الثقافة المصريه العامة-
- ١٩ - الاخفش: سعيد بن مسعدة ابو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط نحوي، عالم باللغة والأدب من اهل بلخ- ترجمته في: ابن خلكان ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد: وفيات الأعيان ١/ ٢٠٨ ط- تحقيق د- احسان عباس- ط- دار صادر، بيروت- وقد ذكرنا قوله وليراجع: معاني القرآن ١/٣٧٢ -

- ٢١- الكسائي: على بن حمزة ابوالحسن: امام فى اللغة والنحو والقراءة، له تصانيف: منها- معانى القرآن، المصادر، القراءات، النوادر- توفى ١٨٦هـ- ترجمته: الذهبي: شمس الدين سير اعلام النبلاء ٩/ ١٣١-١٣٤- تحقيق: شعيب الارنؤط - ط - مؤسسة الرسالة بيروت - ط ١- وخطيب بغدادى: تاريخ بغداد ١١/١٠٣-٤١٥ - ط - دار الكتاب العربى، بيروت-
- ٢٢- انظر قول الكسائي فى القيسى: مشكل اعراب القرآن- ٩٩/١-
- ٢٣- آية- ١٠٧ و ١٠٨ - سورة التوبة-
- ٢٤- الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله ابو زكريا المعروف بالفراء الديلمي: شيخ النحاة واللغويين والقراء كان يقال له امير المؤمنين فى النحو- من آثاره: معانى القرآن- المصادر فى القرآن، الوقف والابتداء، الكافى فى النحو- وغيرها- توفى ٢٠٧هـ- انظر ترجمة فى ابن كثير: ابو الفداء- اسمعيل بن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٢٦١- ط- مطبعة المتوسط- بيروت- الداؤدى: شمس الدين محمد بن على بن احمد- طبقات المفسرين ٢/ ٣٦٧-
- ٣٦٨- ط- ١- دارالكتب العلمية، بيروت-
- ٢٥- الفراء: معانى القرآن- ١٥٠/١ - عالم الكتب بيروت-
- ٢٦- الزجاج: ابراهيم بن سرى ابو اسحق النحوى، اللغوى المفسر - له من الكتب: معانى القرآن - الاشتقاق، العروض وغيرها- توفى فى بغداد- ٣١١هـ- ترجمته فى: ابن خلكان، وفيات الاعيان ١/ ٤٩-٥٠- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين ١/ ٣٣- ط- دار احياء التراث العربى، بيروت-
- ٢٧- هو: النحاس - وقد سبقت ترجمته-
- ٢٨- هو: محمد بن يزيد بن عبد الاكبر ابو العباس المعروف "بالمبرد" امام العربية ببغداد فى زمنه وأحد أئمة الأدب والأخبار- توفى ببغداد ٤٨٦هـ - له من الكتب: المقتضب فى النحو، اعراب القرآن - الاشتقاق - ترجمته فى: الحموى: ياقوت: معجم الادباء ١٩/ ١١١-١١٢- ط- دارالمأمون، بمصر-
- ٢٩- الشاهد لتميم بن مقبل - انظر ديوانه: ص: ٢٤ تحقيق د- عزة حسن، ط- ١٩٦٢م دمشق-
- سيويه ابو بشر عمرو بن عثمان: كتاب سيويه ٢/ ٣٤٦- تحقيق و شرح عبدالسلام محمد هارون - ط- عالم الكتب ط- ٣- ١٩٨٣م- واستشهد به الفراء غير منسوب فى معانى القرآن ٢/ ٣٢٣- وابن جرير الطبرى فى جامع البيان ٢١/ ٣٣-

- ٣٠- راجع: كتابه: اعراب القرآن ٣١٧/١-٣١٨ تحقيق - الدكتور زهير غازي زاهد- ط- مكتبه العلوم والحكم- المدينة المنورة -ط- ١٩٨٥م - وكل هذه الأقوال ذكرها ابو حيان محمد بن يوسف الأندلسي في تفسيره: البحر المحيط ٢/٢٢٢-ط- ١٩٨٣م دارالفكر للطباعة والنشر- والقرطبي: ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري في: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٧٤-ط- ٣- دارالكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م- والعكبري: ابو البقاء عبد الله بن الحسين في كتابه: املاء مامن به الرحمن ١/ ٩٨-ط- ١- دارالكتب العلمية بيروت- ١٩٧٩م- وفخر الرازي: محمد الرازي فخر الدين في تفسيره مفاتيح الغيب ٦/ ١٣٥- ط- دارالفكر للطباعة والنشر ١٩٨١م - والآلوسي: ابو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي في روح المعاني ٢/ ١٤٩- ط- دار احياء التراث العربي، لبنان-
- ٣١- الزمخشري: محمود بن عمر محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله من ائمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب وكان معتزلي المذهب مجاهراً شديد النكار على المتصوفة- توفى بالجرجان- سنة ٥٥٣٨- اشهر كتبه: الكشاف في تفسير القرآن- اساس البلاغة - الفائق في غريب الحديث- انظر ترجمته في: الزركلي خير الدين: الأعلام ٧/ ١٧٨-ط- دارالعلم للملأين، بيروت-
- ٣٢- راجع تفسيره: ١/ ٣٧٢-
- ٣٣- وهو قول ابي علي الفارسي كما ذكره القرطبي في تفسيره ٣/ ١٧٤-
- ٣٤- راجع تفسيره: ١/ ٣٧٢-
- ٣٥- انظر: الزجاج: اعراب القرآن، تحقيق و دراسة- ابراهيم الايباري- ١٧٥/١- ١٧٦، دارالكتاب اللبناني، بيروت- ط- ٢- ١٩٨٢م-